المفكر السوري صادق جلال العظم في أحدث حوار صحفي :

أحزاب الإسلام السياسي طائفية .. وغير مؤهلة لبناء دولة المواطنة المتساوية

صادق جلال العظم فيلسوف ومفكر سوري مخضرم. يقول بعض المثقفين إنه ليس مثيراً للسجال والجدل فحسب وإنما للزوابع والأعاصير، في عالم عربي يشهد انحساراً لدور العقل، ورجوعاً ليس فقط إلي التدين بل إلي التمذهب والتقوقع داخل الطائفة أو المذهب أو الحزب أو التيار.

ويرى بعض المثقفين أن من إيجابيات الدكتور العظم تحريكه للرمال الساكنة منذ قرون في الوعي العربي. ولعله من المفكرين العرب القلة الذين تماهي تفكيرهم مع سلوكهم اليومي في الحياة. ويضيف أن هذا ما نلمسه من خلال علاقات العظم بالمحيطين الاجتماعي والثقافي، فطالما كان الرجل قريباً من العامة ولم تكن علاقاته الاجتماعية حكراً على النخب، رغم كونه ينتمي إلى عائلة ارستقراطية.

قد تتفق أو تختلف مع العظم لكن ليس بوسعك إلا أن تحترم المقولات والأفكار والآراء التي يطرحها بحكمة ودراية الشيوخ وثقة وحيوية الشباب.. وذلك على الرغم من أن الرجل بات في العقد الثامن من عمره. فضلاً عن سعة صدره واعتماده المنهج الفكري والمنطق العلمي التجريبي.

ولد صادق جلال العظم في دمشق عام ١٩٣٤ درس الفلسفة في الجامعة الأمريكية في بيروت، وعاد إليها أستاذاً عام ١٩٦٣ أكمل تعليمه في جامعة "يال" الأمريكية. عمل أستاذاً جامعياً في الولايات المتحدة قبل أن يعود إلي دمشق عام ١٩٦٢ ليعمل أستاذاً في جامعتها قبل أن ينتقل إلي التدريس في جامعة الأردن. عمل عام ١٩٦٩ رئيساً لتحرير مجلة الدراسات العربية الصادرة في بيروت. من مؤلفات العظم "نقد الفكر الديني، النقد الذاتي بعد الهزيمة، ذهنية التحريم، ما بعد ذهنية التحريم، في الحب والحب العذري، وغيرها...".

للوقوف عند آرائه ومواقفه حيال العديد من القضايا الإشكالية في عالمنا العربي تعيد صحيفة (١٤ اكتوبر) نشر حوارين اجرتهما في الاسبوع الماضي كل من صحيفة (الراية) القطرية، وصحيفة (الشرق الاوسط) السعودية ، بعد دمج الحوارين في نص واحد على النحو التالي:

● بالنظر إلي سيرورة العقل البشري، إلي أي مدى تغيرت قناعاتك منذ صدور كتابه "نقد الفكر الديني" وحتي الآن؟

■ قناعاتي تغيرت بمعنى أنني أخذت بالمستجدات والتطورات الحادثة بعين الاعتبار. منذ هزيمة يونيو 1967 وأنا مرن بتفكيري، لا أتجمل ولا أتعصب عند موقف محدد. في كتاب نقد الفكر الديني وصفت ذلك الفكر في تلك الأيام بالبؤس المقالة الأولي في الكتاب وهي الأكثر كان عنوانها "الثقافة العلمية وبؤس الفكر الديني". الآن أنا أرى أن هذا البؤس قد تعمق وازداد. في تلك الفترة، بين عامي 1969 و1970 كانت هناك محاولة من قبل المفكرين الإسلاميين للتعامل مع قضايا ومسائل العلم الحديث. كانوا يميلون إلي الاحتكام للنقاش والجدل إلي العقل والواقع وإلي مجري الأحداث. أما الآن فأنا أجد أن الفكر الديني الناشئ حول الإسلام في حالة أعمق من البؤس، بمعنى أننا الآن وصلنا إلي قضايا مثل فتوي إرضاع الكبير. علماً أنها ليست صادرة عن شيخ عادي وإنما عن رئيس قسم الحديث في جامعة الأزهر في مصر الأزهر. في الفترة التي كتبت فيها كتاب نقد الفكر الديني وناقشت الفكرة كان يصعب أن نجد مثل هذه الفتاوي. من هنا يمكن القول بأن هناك انحداراً كبيراً وابتعاداً عن الاحتكام إلي أي شيء عقلاني.

أشبه ذلك مثلاً بما يصير أيضاً عن أوساط الأزهر من قبيل التبرك بيول النبي مثلاً، أو ما تردد عن حديث الذبابة.. وشيوع هذا الجانب أو المنحي الخرافي في الفضاء الإسلامي. أعتقد أن هذا يمثل انحداراً عن البؤس الذي تحدثت عنه بين عامي 1969 و1970 عندما تكلمت في تلك الفترة عن بؤس الفكر الديني ناقشت بعض المفكرين الإسلاميين ورجال الدين مثل نديم الجسر مفتي طرابلس، وموسي الصدر وغيرهما.. في تلك الفترة لاحظت أنهم يريدون أن يتعاملوا مع العلم الحديث والقوة العلمية والتطبيقات العلمية لكنهم كانوا للأسف يجهلون أي شيء عن العلم الحديث. ما معني العلم؟ وما هي مناهج البحث العلمي؟ وربما لم تكن لديهم مانع من أن تركوا الرأسمالية الأنانية فكرة عن الولايات المتحدة والكيمياء أو التشريح إلا من خلال مفردوفيه في الصحف. كانوا يريدون أن يتصدوا للأثر الاجتماعي الذي تتركه التطورات العلمية أو القوتو التكنولوجية وهم عملياً في حالة جهل شبه كامل بها.

أنا أيضاً أجد أن هذا تعميق أكثر للأمر. هناك جهل أكبر، وهناك مواقف. خلف هذه الإسلام الأصولي، ترفض العلم الحديث وتمتدحه قاطعاً. فرض الغرب وفرض الحداثة وإذا دفعت تفكيرهم إلي النتيجة المنطقية يضطرون طالبان في هذه المسألة. هم يسمكون بقضايا هي منتهي السخف.. مثلاً أنه فارت بعض فتاوي الإمام الخميني، والتي يطرح في أحدها تحديد المسلم في كيسولة الفضاء ويناقش فيه وأعلن مدة بداية تأسيس الجمهورية التركية أن هذه الجمهورية عيلمانية، بمعني أنها محايدة دينياً.. هذا البلد به أبيات البلد الوحيد الذي أنتج نحرياً ما أصول إسلامية ولكنه ديمقراطي وعادة في الوصول إلي السلطة بانتخابات نزيهة ويحكم من أن تحل كارثة في البلاد. يدون علمانية تركيا فكرة أن الإسلاميين يتداولون السلطة كانت أصلاً مستحيلة. الشرط المسبق الذي سمح لتركيا لإنتاج حزب العدالة والتنمية هو كون الدولة بالأساس علمانية، وهذا غير موجود في أي بلد آخر في العالم.

ما عدا أنه كان هناك علاقة بين الدولة والدين في العالم العربي؟

■ الآن هناك نقاشات حزب حول الإسلام السياسي التركي وتطور حزب العدالة والتنمية حتي وصل إلي السلطة ديمقراطياً. وأنا حسب الانتخابات هو مستعد لأن ينسب وبصبح معارضة، وربما يعود مجدداً. وأعتقد بأن هذا النموذج من الإسلام السياسي غير موجود في العالم العربي.

● هل ذلك يعني بطول حزب العدالة والتنمية في تركيا بقواعد اللعبة الديمقراطية؟

■ نعم ولكن ذلك حصل بعد مخاض طويل وتطور تاريخي حتي وصل إلي قناعة بأن أي دور في الحياة السياسية الوطنية لا يمكن أن يكون إلا حزب مشروط بقواعد اللعبة الديمقراطية والمفارقة أن الإسلاميين الحاكمين في تركيا اليوم يريدون الانضمام إلي الاتحاد الأوروبي. والهيا الأوروبي يشترط من قانون العقوبات الأوروبي الطوارئ في تركيا تعتبر الإرهاب الذي يقوم به أحد مع بتجرأ على فعله عقاب الانقلابين منذ إلغاء نظام الخلافة وإقامة النظام الجمهوري في تركيا بعد ثورة أتاتورك بقيادة كمال أتاتورك. الآن حزب العدالة الاسلامي شطب هذه النصوص من قانون العقوبات، حيث أصبح الرئاسي في ظل حكم الاسلاميين عملاً لا يعاقب عليه القانون كما هو الحال في الاتحاد الاوروبي المسيحي الذي يصر حزب العدالة الاسلامي على إنضمام تركيا الي عضويته ، بينما الجيش حامي العلمانية الأساسي يتخفظ على الفكرة ويعرقلها.

● من خلال احتكاكك بالمثقفين والمفكرين السوريين والعرب. هل أنت متفائل بمستقبل الثقافة في سوريا والعالم العربي؟

■ للمبتدئ جدر جدا أنا في هذه المسألة متشائم بالنسبة للثقافة العربية عموماً فيما يتعلق بمستوي مكانة مثقفينا ومفكرينا ومبدعينا في الداخل والخارج. في أحوال الثقافة وأدواتها وآلية المتفوضة جداً. لا أريد أن أقول شيئاً ولكن أنا لا يحقق ديمقراطية حقيقية تقوم على أساس المواطنة. وكذلك الأمر في العراق الذي يسير في ذات الاتجاه.

● ما الذي يضعف العقل العربي ويجعله يقبل بالأخ أو الوطن في الوضع كما هو ما يحلّ يتاخي يستطيع تحقيق هذه المعادلة المستحيلة الآن حتي الآن؟

■ هذه المسائل يجعلني أفرد تفسيرات عديدة للتاريخية. ويمكن أن نستحضر في هذا السياق تمثيل كمثال أنا رأي أن العراقيين إذا أرادوا الحفاظ على وحدة بلدهم أحب أيضا طائعة، فعليهم أن يتعلموا من هذه الأحداث التي يمرون بها روسيا تاريخية الأكثرية السياسية في العراق لا تستطيع أبدا أن بالديمقراطية تعني حكم الأكثرية وتسكت. يجب أن نقول بأنها تعني حكم الأكثرية مع حفظ حقوق الأقليات، وأقصد الأقليات السياسية وليس بالضرورة الأقليات العددية أهم الغرفة الدينية. هم يقولون نحن أكثرية وبالتالي نحكم، والبيمقراطية معني حكم الأكثرية وهذا يجانب حديثهم. لا سيما أن آخرايهم السياسية تقوم على أساس طائفي بحيث تكون مصحورة بالسنة أو بالشيعة أو بغيرهم.. الخ. عندما تقوم الأغلبية السنية بإنشاء حزب على أساس ديني طائفي فإنها بذلك تكون قدوة لبقية الطوائف وتشجعها على تأسيس أحزاب خاصة بها. وبالتالي فإن فكرة تأسيس أحزاب على أساس ديني أو طائفي تعزز انهيار فكرة المواطنة. وأعتقد أن ذلك لا يقل خطورة عن إنشاء حزب على أساس عرقي في ألمانيا مثلاً لأن ذلك يعني العودة إلي النازية.

الإسلام السياسي

● هل ينطبق ذلك على الحركات الإسلامية التي تؤمن بالانخراط في العمل السياسي والتداول السلمي للسلطة، حزب العدالة والتنمية في تركيا مثلاً؟

■ التجربة التركية نموذج مهم جداً، كنت باستثناء تركيا فإن الأحزاب ذات الطابع الديني تعتبر أن ديمقراطية تعني أنها تستعيد السلطة من الشعب. إذا مضت هذه المهمة وأعتقد أن كلامهم عن تداول السلطة تكتيكي تملقي لا أعطيه أي أهمية. تركيا البلد الإسلامي الوحيد الذي يعتمد إيديولوجيا وعقيدة عقلانية، وفيه أعلن مدة بداية تأسيس الجمهورية التركية أن هذه الجمهورية عيلمانية، بمعني أنها محايدة دينياً.. هذا البلد به أبيات البلد الوحيد الذي أنتج نحرياً ما أصول إسلامية ولكنه ديمقراطي وعادة على الوصول إلي السلطة بانتخابات نزيهة ويحكم من أن تحل كارثة في البلاد. يدون علمانية تركيا فكرة أن الإسلاميين يتداولون السلطة كانت أصلاً مستحيلة. الشرط المسبق الذي سمح لتركيا لإنتاج حزب العدالة والتنمية هو كون الدولة بالأساس علمانية، وهذا غير موجود في أي بلد آخر في العالم العربي؟

● ما عدا أنه كان هناك علاقة بين الدولة والدين في العالم العربي؟

■ الآن هناك نقاشات حزب حول الإسلام السياسي التركي وتطور حزب العدالة والتنمية حتي وصل إلي السلطة ديمقراطياً. وأنا حسب الانتخابات هو مستعد لأن ينسب وبصبح معارضة، وربما يعود مجدداً. وأعتقد بأن هذا النموذج من الإسلام السياسي غير موجود في العالم العربي.

● هل ذلك يعني بطول حزب العدالة والتنمية في تركيا بقواعد اللعبة الديمقراطية؟

■ نعم ولكن ذلك حصل بعد مخاض طويل وتطور تاريخي حتي وصل إلي قناعة بأن أي دور في الحياة السياسية الوطنية لا يمكن أن يكون إلا حزب مشروط بقواعد اللعبة الديمقراطية والمفارقة أن الإسلاميين الحاكمين في تركيا اليوم يريدون الانضمام إلي الاتحاد الأوروبي المسيحي. والهيا الأوروبي يشترط من قانون العقوبات الأوروبي الطوارئ في تركيا تعتبر الإرهاب الذي يقوم به أحد مع بتجرأ على فعله عقاب الانقلابين منذ إلغاء نظام الخلافة وإقامة النظام الجمهوري في تركيا بعد ثورة أتاتورك بقيادة كمال أتاتورك. الآن حزب العدالة الاسلامي شطب هذه النصوص من قانون العقوبات، حيث أصبح الرئاسي في ظل حكم الاسلاميين عملاً لا يعاقب عليه القانون كما هو الحال في الاتحاد الاوروبي المسيحي الذي يصر حزب العدالة الاسلامي على إنضمام تركيا الي عضويته ، بينما الجيش حامي العلمانية الأساسي يتخفظ على الفكرة ويعرقلها.

● من خلال احتكاكك بالمثقفين والمفكرين السوريين والعرب. هل أنت متفائل بمستقبل الثقافة في سوريا والعالم العربي؟

■ للمبتدئ جدر جدا أنا في هذه المسألة متشائم بالنسبة للثقافة العربية عموماً فيما يتعلق بمستوي مكانة مثقفينا ومفكرينا ومبدعينا في الداخل والخارج. في أحوال الثقافة وأدواتها وآلية المتفوضة جداً. لا أريد أن أقول شيئاً ولكن أنا لا يحقق ديمقراطية حقيقية تقوم على أساس المواطنة. وكذلك الأمر في العراق الذي يسير في ذات الاتجاه.

● ما الذي يضعف العقل العربي ويجعله يقبل بالأخ أو الوطن في الوضع كما هو ما يحلّ يتاخي يستطيع تحقيق هذه المعادلة المستحيلة الآن حتي الآن؟

■ هذه المسائل يجعلني أفرد تفسيرات عديدة للتاريخية. ويمكن أن نستحضر في هذا السياق تمثيل كمثال أنا رأي أن العراقيين إذا أرادوا الحفاظ على وحدة بلدهم أحب أيضا طائعة، فعليهم أن يتعلموا من هذه الأحداث التي يمرون بها روسيا تاريخية الأكثرية السياسية في العراق لا تستطيع أبدا أن بالديمقراطية تعني حكم الأكثرية وتسكت. يجب أن نقول بأنها تعني حكم الأكثرية مع حفظ حقوق الأقليات، وأقصد الأقليات السياسية وليس بالضرورة الأقليات العددية أهم الغرفة الدينية. هم يقولون نحن أكثرية وبالتالي نحكم، والبيمقراطية معني حكم الأكثرية وهذا يجانب حديثهم. لا سيما أن آخرايهم السياسية تقوم على أساس طائفي بحيث تكون مصحورة بالسنة أو بالشيعة أو بغيرهم.. الخ. عندما تقوم الأغلبية السنية بإنشاء حزب على أساس ديني طائفي فإنها بذلك تكون قدوة لبقية الطوائف وتشجعها على تأسيس أحزاب خاصة بها. وبالتالي فإن فكرة تأسيس أحزاب على أساس ديني أو طائفي تعزز انهيار فكرة المواطنة. وأعتقد أن ذلك لا يقل خطورة عن إنشاء حزب على أساس عرقي في ألمانيا مثلاً لأن ذلك يعني العودة إلي النازية.

الإسلام السياسي

● هل ينطبق ذلك على الحركات الإسلامية التي تؤمن بالانخراط في العمل السياسي والتداول السلمي للسلطة، حزب العدالة والتنمية في تركيا مثلاً؟

■ التجربة التركية نموذج مهم جداً، كنت باستثناء تركيا فإن الأحزاب ذات الطابع الديني تعتبر أن ديمقراطية تعني أنها تستعيد السلطة من الشعب. إذا مضت هذه المهمة وأعتقد أن كلامهم عن تداول السلطة تكتيكي تملقي لا أعطيه أي أهمية. تركيا البلد الإسلامي الوحيد الذي يعتمد إيديولوجيا وعقيدة عقلانية، وفيه أعلن مدة بداية تأسيس الجمهورية التركية أن هذه الجمهورية عيلمانية، بمعني أنها محايدة دينياً.. هذا البلد به أبيات البلد الوحيد الذي أنتج نحرياً ما أصول إسلامية ولكنه ديمقراطي وعادة على الوصول إلي السلطة بانتخابات نزيهة ويحكم من أن تحل كارثة في البلاد. يدون علمانية تركيا فكرة أن الإسلاميين يتداولون السلطة كانت أصلاً مستحيلة. الشرط المسبق الذي سمح لتركيا لإنتاج حزب العدالة والتنمية هو كون الدولة بالأساس علمانية، وهذا غير موجود في أي بلد آخر في العالم العربي؟

● هل ذلك يعني بطول حزب العدالة والتنمية في تركيا بقواعد اللعبة الديمقراطية؟

■ نعم ولكن ذلك حصل بعد مخاض طويل وتطور تاريخي حتي وصل إلي قناعة بأن أي دور في الحياة السياسية الوطنية لا يمكن أن يكون إلا حزب مشروط بقواعد اللعبة الديمقراطية والمفارقة أن الإسلاميين الحاكمين في تركيا اليوم يريدون الانضمام إلي الاتحاد الأوروبي المسيحي. والهيا الأوروبي يشترط من قانون العقوبات الأوروبي الطوارئ في تركيا تعتبر الإرهاب الذي يقوم به أحد مع بتجرأ على فعله عقاب الانقلابين منذ إلغاء نظام الخلافة وإقامة النظام الجمهوري في تركيا بعد ثورة أتاتورك بقيادة كمال أتاتورك. الآن حزب العدالة الاسلامي شطب هذه النصوص من قانون العقوبات، حيث أصبح الرئاسي في ظل حكم الاسلاميين عملاً لا يعاقب عليه القانون كما هو الحال في الاتحاد الاوروبي المسيحي الذي يصر حزب العدالة الاسلامي على إنضمام تركيا الي عضويته ، بينما الجيش حامي العلمانية الأساسي يتخفظ على الفكرة ويعرقلها.

● من خلال احتكاكك بالمثقفين والمفكرين السوريين والعرب. هل أنت متفائل بمستقبل الثقافة في سوريا والعالم العربي؟

■ للمبتدئ جدر جدا أنا في هذه المسألة متشائم بالنسبة للثقافة العربية عموماً فيما يتعلق بمستوي مكانة مثقفينا ومفكرينا ومبدعينا في الداخل والخارج. في أحوال الثقافة وأدواتها وآلية المتفوضة جداً. لا أريد أن أقول شيئاً ولكن أنا لا يحقق ديمقراطية حقيقية تقوم على أساس المواطنة. وكذلك الأمر في العراق الذي يسير في ذات الاتجاه.

● هل ذلك يعني بطول حزب العدالة والتنمية في تركيا بقواعد اللعبة الديمقراطية؟

■ نعم ولكن ذلك حصل بعد مخاض طويل وتطور تاريخي حتي وصل إلي قناعة بأن أي دور في الحياة السياسية الوطنية لا يمكن أن يكون إلا حزب مشروط بقواعد اللعبة الديمقراطية والمفارقة أن الإسلاميين الحاكمين في تركيا اليوم يريدون الانضمام إلي الاتحاد الأوروبي المسيحي. والهيا الأوروبي يشترط من قانون العقوبات الأوروبي الطوارئ في تركيا تعتبر الإرهاب الذي يقوم به أحد مع بتجرأ على فعله عقاب الانقلابين منذ إلغاء نظام الخلافة وإقامة النظام الجمهوري في تركيا بعد ثورة أتاتورك بقيادة كمال أتاتورك. الآن حزب العدالة الاسلامي شطب هذه النصوص من قانون العقوبات، حيث أصبح الرئاسي في ظل حكم الاسلاميين عملاً لا يعاقب عليه القانون كما هو الحال في الاتحاد الاوروبي المسيحي الذي يصر حزب العدالة الاسلامي على إنضمام تركيا الي عضويته ، بينما الجيش حامي العلمانية الأساسي يتخفظ على الفكرة ويعرقلها.

● هل يمكن القول إن الحركات الدينية هي نتاج أو رد فعل على عجز الأنظمة العربية في الماضي والحاضر عن بناء دولة المواطنة؟ وبالمقابل هل يمكن لهذه الحركات أن تقيم دولة المواطنة في ظل وصولها إلي الحكم؟

■ أولا: دولة المواطنة هي عملية تاريخية طويلة الأمد، ولا نستطيع القول إن هذا النظام أو ذاك فشل في بنائها. لكن يمكن القول إن هذا النظام ساهم في تحسين المناخ العام لقيام دولة المواطنة وذاك النظام تراجع أو أخفق. ثانياً: أعتقد بأن الإسلاميين لا يريدون دولة مواطنة تساوي الذمي بالمسلم السني في الدول العربية وبالمسلم الشيعي في إيران الذي ينبغي أن يكون شيعياً حتي يعتبر مواطناً درجة أولي. لكن في العموم أعتقد بأن القول بأن هذه الأنظمة عن بناء دولة المواطنة ساهم في بروز الإسلاميين صحيح جزئياً وعلى كل حال مسألة المواطنة ليست مهمة بالنسبة للتيارات الإسلامية. الآن هم يتكلمون عن المواطنة لكنني أشك كثيراً في التجربة الأفغانية بقيادة طالبان كان الحلف الإسلامي الغربي عسكريا وحميما ومباشرا من أجل محاربة الاتحاد السوفييتي آنذاك. لذلك لا أعتقد بأن الوجود العسكري الأجنبي هو سبب مباشر لانداع الانتفاضة أو العمليات التي قامت بها الحركات الجهادية أو ما جري مثلاً في الجزائر والسودان وسوريا ومصر في تلك الفترة.

أعتقد أن الحركات الإسلامية كان لديها وهم بأنها قادرة على إسقاط الإمبراطورية السوفييتية، لكنها نسيت أو تجاهلت أن هذا الهدف كان مستجيلاً دون التحالف مع الولايات المتحدة والغرب. هم يعتقدون بأنهم أسقطوها هكذا وألا الله

الشيخ عبدالعزيز بن باز أفتى بتكفير كل من يقول بأن الأرض كروية وبأنها تدور حول الشمس. والكارثة الكبرى أن أحدا لم يتجرأ لا من علماء الدين ولا من مؤسسات العالم الإسلامي من مشرقه إلي مغربه. من الأزهر والزيتونة إلي القرضاوي والترابي وكفتارو وكليات الشريعة... لا أحد تجرأ على القول لابن باز ما هذا الهراء الذي تقول به باسم الدين الإسلامي؟!.

العقل العربي بنيتة الراهنة غير قادر على انتاج الديمقراطية .. وجميع الشعوب ـ في الاصل ـ غير مؤاهلة للديمقراطية لأنها عملية تاريخية تراكمية .. ومن المفيد قبول نموذج ديمقراطي عربي بنسبة ٣٠٪ إن وجد !!

عقم فكري

● عفواً دكتور.. لا أري إذا كان يمكننا الحديث بالأسماء.. ربما يكون ذلك حساساً في البعض؟

■ إن الحديث في هذا الموضوع حساساً فهنا ذلك إصلاحي كما أصبح وضعنا كارثيا.. علي كل أنا سأقول رأيي وبمكنك التصرف. في كتاب بن باز الصادر عام 1985 وفيه كان هناك محاولة من قبل المفكرين الإسلاميين للتعامل مع قضايا ومسائل العلم الحديث. كانوا يميلون إلي الاحتكام للنقاش والجدل إلي العقل والواقع وإلي مجري الأحداث. أما الآن فأنا أجد أن الفكر الديني الناشئ حول الإسلام في حالة أعمق من البؤس، بمعني أننا الآن وصلنا إلي قضايا مثل فتوي إرضاع الكبير. علماً أنها ليست صادرة عن شيخ عادي وإنما عن رئيس قسم الحديث في جامعة الأزهر أو مرشد الأزهر. في الفترة التي كتبت فيها كتاب نقد الفكر الديني وناقشت الفكرة كان يصعب أن نجد مثل هذه الفتاوي. من هنا يمكن القول بأن هناك انحداراً كبيراً وابتعاداً عن الاحتكام إلي أي شيء عقلاني.

أشبه ذلك مثلاً بما يصير أيضاً عن أوساط الأزهر من قبيل التبرك بيول النبي مثلاً، أو ما تردد عن حديث الذبابة.. وشيوع هذا الجانب أو المنحي الخرافي في الفضاء الإسلامي. أعتقد أن هذا يمثل انحداراً عن البؤس الذي تحدثت عنه بين عامي 1969 و1970 عندما تكلمت في تلك الفترة عن بؤس الفكر الديني ناقشت بعض المفكرين الإسلاميين ورجال الدين مثل نديم الجسر مفتي طرابلس، وموسي الصدر وغيرهما.. في تلك الفترة لاحظت أنهم يريدون أن يتعاملوا مع العلم الحديث والقوة العلمية والتطبيقات العلمية لكنهم كانوا للأسف يجهلون أي شيء عن العلم الحديث. ما معني العلم؟ وما هي مناهج البحث العلمي؟ وربما لم تكن لديهم مانع من أن تركوا الرأسمالية الأنانية فكرة عن الولايات المتحدة والكيمياء أو التشريح إلا من خلال مفردوفيه في الصحف. كانوا يريدون أن يتصدوا للأثر الاجتماعي الذي تتركه التطورات العلمية أو القوتو التكنولوجية وهم عملياً في حالة جهل شبه كامل بها.

● هل يمكن القول إن الحركات الدينية هي نتاج أو رد فعل على عجز الأنظمة العربية في الماضي والحاضر عن بناء دولة المواطنة؟

■ أولا: دولة المواطنة هي عملية تاريخية طويلة الأمد، ولا نستطيع القول إن هذا النظام أو ذاك فشل في بنائها. لكن يمكن القول إن هذا النظام ساهم في تحسين المناخ العام لقيام دولة المواطنة وذاك النظام تراجع أو أخفق. ثانياً: أعتقد بأن الإسلاميين لا يريدون دولة مواطنة تساوي الذمي بالمسلم السني في الدول العربية وبالمسلم الشيعي في إيران الذي ينبغي أن يكون شيعياً حتي يعتبر مواطناً درجة أولي. لكن في العموم أعتقد بأن القول بأن هذه الأنظمة عن بناء دولة المواطنة ساهم في بروز الإسلاميين صحيح جزئياً وعلى كل حال مسألة المواطنة ليست مهمة بالنسبة للتيارات الإسلامية. الآن هم يتكلمون عن المواطنة لكنني أشك كثيراً في التجربة الأفغانية بقيادة طالبان كان الحلف الإسلامي الغربي عسكريا وحميما ومباشرا من أجل محاربة الاتحاد السوفييتي آنذاك. لذلك لا أعتقد بأن الوجود العسكري الأجنبي هو سبب مباشر لانداع الانتفاضة أو العمليات التي قامت بها الحركات الجهادية أو ما جري مثلاً في الجزائر والسودان وسوريا ومصر في تلك الفترة.

أعتقد أن الحركات الإسلامية كان لديها وهم بأنها قادرة على إسقاط الإمبراطورية السوفييتية، لكنها نسيت أو تجاهلت أن هذا الهدف كان مستجيلاً دون التحالف مع الولايات المتحدة والغرب. هم يعتقدون بأنهم أسقطوها هكذا وألا الله

الشيخ عبدالعزيز بن باز أفتى بتكفير كل من يقول بأن الأرض كروية وبأنها تدور حول الشمس. والكارثة الكبرى أن أحدا لم يتجرأ لا من علماء الدين ولا من مؤسسات العالم الإسلامي من مشرقه إلي مغربه. من الأزهر والزيتونة إلي القرضاوي والترابي وكفتارو وكليات الشريعة... لا أحد تجرأ على القول لابن باز ما هذا الهراء الذي تقول به باسم الدين الإسلامي؟!. وكونك تقول أي أن هذه مسألة حساسة.. فمعني ذلك أن العلماء العلمي غير مسموح فيها أو علينا في الشيخ بن باز عندما يقول إن الأرض مسطحة، وأنها ليست كروية ولا تدور حول الشمس ..وانما هي ثابتة وتغرب على وفق الفكر الكنيسي القديم في مرحلة ما قبل كوبرنيكوس القديمة؟ هذا كارثة.. والكارثة الأكبر أنا لا نستطيع حتي مجرد أن نقول ذلك.

النقطة الثالثة الاستراتيجية السياسية الدينية وسوريا، وعلى رأسها الإخوان وشيوخ الإفتاء، وغيرها.. هي اليوم في حالة عقم فكري كامل. لا يخرج منها شيء سوى بضاعة من قبيل إرضاع الكبير، وحديث الذبابة والتبرك بيول النبي وجلد الصحفيين.. وقد عشنا ذلك في الخمسينات والستينات. في تلك الفترة المقومون نجحوا نسبياً لكني لا أعتقد بأنهم نجحوا كلياً وبقي منهاك تواجد أجنبي في بعض البلدان العربية. في التجربة الأفغانية بقيادة طالبان كان الحلف الإسلامي الغربي عسكريا وحميما ومباشرا من أجل محاربة الاتحاد السوفييتي آنذاك. لذلك لا أعتقد بأن الوجود العسكري الأجنبي هو سبب مباشر لانداع الانتفاضة أو العمليات التي قامت بها الحركات الجهادية أو ما جري مثلاً في الجزائر والسودان وسوريا ومصر في تلك الفترة.

أعتقد أن الحركات الإسلامية كان لديها وهم بأنها قادرة على إسقاط الإمبراطورية السوفييتية، لكنها نسيت أو تجاهلت أن هذا الهدف كان مستجيلاً دون التحالف مع الولايات المتحدة والغرب. هم يعتقدون بأنهم أسقطوها هكذا وألا الله

الإسلام هو الحل شعار جذاب يستقطب الناس .. لكني أعتقد أن هذا الاستقطاب سطحي عاطفي، ولا يمكن عندما يدققون في ماهية هذا الشعار والبرنامج الذي ينطوي عليه يستطيع إعادة النظر والنقاش وتطهر تساؤلات ملحة من قبيل هل يعني الإسلام هو الحل عودة نظام الخلافة مثلاً؟.

"البوربون" أو لويس السادس عشر كجلاد يحكم فرنسا بحكم الحق الإلهي.. الخ.. أنا أعتقد أن هذا الاستقطاب سطحي عاطفي، ولا يمكن عندما يدققون في ماهية هذا الشعار والبرنامج الذي ينطوي عليه يستطيع إعادة النظر والنقاش وتطهر تساؤلات ملحة من قبيل هل يعني الإسلام هو الحل عودة نظام الخلافة مثلاً؟. "البوربون" أو لويس السادس عشر كجلاد يحكم فرنسا بحكم الحق الإلهي.. الخ.. أنا أعتقد أن هذا الاستقطاب سطحي عاطفي، ولا يمكن عندما يدققون في ماهية هذا الشعار والبرنامج الذي ينطوي عليه يستطيع إعادة النظر والنقاش وتطهر تساؤلات ملحة من قبيل هل يعني الإسلام هو الحل عودة نظام الخلافة مثلاً؟.

المؤسسات الدينية الرسمية، وعلى رأسها الأزهر وكليات الشريعة ودور الإفتاء، وغيرها.. هي اليوم في حالة عقم فكري كامل. لا يخرج منها شيء سوى بضاعة من قبيل إرضاع الكبير، وحديث الذبابة والتبرك بيول النبي وجلد الصحفيين

وبالتالي فإن الحكومات تتخلى عن مسؤولياتها وتتركها للمواطنين، وهذا يؤدي إلي تفاقم الأزمات وتفاقمها. من جهة أخري أريد أن أحدد أيضاً أن عصر النهضة العربي، كما الأوروبي قبله (وكذلك الهندي والصيني) شهد مقاومة شديدة وقوية من قوي وقادة من نتائج العلمي ولكنها في الأساس ما هاجمها وتحمله وتبشر به. يبقي عصر النهضة، حيث تؤمن نهضة، عصراً انتقالياً مأهلاً بالتبشير لأنه يتبشر بين ما مات وبين ما هو آت. وعصر النهضة العربي ليس استثناء من هذه القاعدة.

● في معرض الحديث عن العلمانية، تبقي كلمة تعارف كثيرا لها: كيف تعارف أنت العلمانية؟

■ عرّفت العلمانية بما أرى أنها: الحياد الإيجابي للدولة إزاء الأديان والمذاهب والاتنيات التي يتألف منها المجتمع. وهذا التعريف يناسبُ العالم العربي، وأعتقد أننا إذا لم نسر في هذا الاتجاه، فالبديل هو حرب أهلية في العراق مثلاً لا نستطيع الدولة تنظيم الشرع الشيعي أو السني، لذلك فالحل هو في تطبيق قانون مدني، هو القانون المدني. وأنا لم يريدوا كلمة حكومة عيلمانية نقول حكومة مدنية لأن البديل عنها هي حرب أهلية.

● ينصر العلمانيون الإسلاميين يقولون: إن العلمانية في العالم العربي ابتدعها نصارى الشرق لسواتهم كأقلية مع المسلمين، ما رأيك بذلك؟

■ أنا مع المساواة بين المواطنين سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو غير ذلك. بما أن هذا لا يقلل من شأن العلمانية في حال ابتدعتها الأقليات المسيحية أو غيرها. في الهند مثلاً نجد مدافع عن علمانية الدولة الهندية هم المسلمون لأنهم أقلية. لنفترض أن الدولة الهندية أرادت أن تعامل الأقلية المسلمة في بلدها كأهل ذمة، لا يخدمون في الجيش ويدفعون الجزية، هل سيقبل المسلم الإسلامي ذلك؟ لكن المسلمين في المقابل، هناك يمكنون أكثرية ليسوا على استعداد ليمنحوا نفس المساواة للأقليات الدينية الأخري، وبالتحديد المسيحيين الغرب في الشرق الأوسط بأنه مدافع المعايير، وهم لديهم معايير عدة. فمثلاً المسلمون في الهند هم مع العلمانية، لكنهم هم مع حرب بروون ضد إسلامية، وهي إيران دولة إسلامية شيعية.

● ما يعارض المفكرون ومنهم جورج طرابيشي إي اعتبار العلمانية "كفكرة إسلامية - إسلامية" قول أن تكون إسلامية-مسيحية. بمعني أنر أنا في الهيانة عليننا على مشكلة الجمهور، لكن يمكن القبول في تفكر بجانبها بين الأديان، ما رأيك بذلك؟

■ أعتقد أنه في مجتمع متعدد الطوائف والأديان مثل سوريا ولبنان والعراق ومصر، لا بد أن تكون العلمانية هي الأساس بالضبط هي الخرائب. هذا كان أن يحدث في مصر في أحدي الفترات حين اعتبر الإخوان المسلمون أن المسيحيين هم أهل ذمة، لذلك يجب ألا يخدموا في الجيش ولا يمكن اعتبار فلاهم هذا الجيش، يجب عليهم في المقابل أن يدفعوا جزية. لذلك أعتقد أنه ليس من مخرج سوي القبول بفكرة المواطنة أمام القانون، أي تطبيق الإسلام على طريقة تركيا.

● لكن هل يمكن تطبيق النموذج الإسلامي التركي في العالم العربي؟

■ يمكن تطبيقه كما هو، لكن يمكن الاستفادة والتعلم منه لأن النموذج التركي يتضمن وتركيا هي البلد الوحيد الذي استطاع أن يجمع بين أمرين: تاريخ طويل من العلمانية المتشددة، وبنفس الوقت أنجحت هذه العلمانية حزباً إسلامياً ديموقراطيا تقبلها غالبية أهل استلام السلطة بانتخابات حرة نزيهة. لا غلبر عليها. بغير الضرورة أن يتراقق في حال حسن الانتخابات أن ينسحب ويصبح معارضة، يعيد ترتيب نفسه ليستلم السلطة في المستقبل. وهي حالة فريدة في العالم الإسلامي، ومنها نجحت أهمية عالمية الدولة التركية، أنها سمحت لنمو وتطور الإسلام السياسي التركي لكي يتحول إلي حزب ديمقراطي، وهذا ما يحدد من في أيد إسلامي آخر.

● ويمكن بعكس الأستفادة من هذه التجربة عربياً؟

■ هناك بعض الحركات الإسلامية في العالم العربي، استفاد من التجربة التركية كحزب الإخوان المسلمون في مصر الذي وضع برنامجاً لإصلاح الدولة والاقتصاد، متأثرا إلي حد كبير بالتجربة التركية. وهناك مجموعات أخري هي مصر لتشكيل أحزاب إسلامية على غرار حزب العدالة وال